﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ [مريم: 38]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

امتدادٌ لسياق الآية الكريمة قبلَها في الإخبار عن حال الكافرين بالله تعالى، الجاعلين له أندادًا، والزّاعمين أنَّ له ولدًا يَوْمَ وُرودهم عليه سبحانه في الآخرة.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسۡمِعۡ﴾: (سمع) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو إيناسُ الشَّيءِ بالأُذُنِ مِنَ النّاسِ وكُلِّ ذي أُذُنٍ، تَقولُ: سَمِعْتُ الشَّيءَ سَمعًا[1]، والسَّمعُ: قوَّةٌ في الأُذن تُدرك بها المسموعات، وفِعله يُقالُ له السَّمعُ أيضًا[2]، والجَمع: أسماع، والسَّماعُ: ما سَمِعْتَ به فشاع وتُكُلِّمَ به، والسَّميعُ مِن صِفات اللّه وأسمائه[3]، والاِسْتِماعُ: الإصغاء[4]، والمراد من قوله: ﴿أَسۡمِعۡ﴾ في الآية: تعجُّبٌ مِن رفاهة سمعهم، يوم القيامة[5].

2) ﴿وَأَبۡصِرۡ﴾: أَصْلُ (بصر) وُضوحُ الشَّيْءِ، يُقال: بَصُرَ الطَّريقُ، أي: اسْتَبانَ ووَضُحَ[6]، ويُطْلَقُ البَصَرُ على حاسَّةِ العَيْنِ، تَقولُ: جاءَ كَلَمحِ البَصَرِ، أي: كَلَمحِ العَيْنِ، والجَمعُ: أَبْصارٌ[7]، والبَصيرُ والمُبْصِرُ: النَّاظِرُ لغَيْرِه، وضِدُّهُ الأَعْمَى، ويَأْتي البَصَرُ أَيْضًا بمَعْنَى: العِلْمِ والإِدْراكِ، وهيَ الرُّؤْيَةُ بالقَلْبِ، كَقَوْلِكَ: بَصُرْتُ بالشَّيْءِ إذا عَلِمتَهُ وأَدْرَكْتَهُ، والبَصيرَةُ: قَوَّةُ الإِدْراكِ والفِطْنَةُ والعِلْمُ، والجَمعُ: بَصائِرُ[8]، والمراد بقوله: ﴿وَأَبۡصِرۡ﴾ في الآية: تعجُّبٌ مِن حِدَّة بصرهم، يوم القيامة[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سمع).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (سمع).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن الأثير، النّهاية: (سمع).
(4) الرّاغب، المفردات: (سمع).
(5) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 735.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بصر).
(7) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (بصر).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (بصر)، وإبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط: 1/ 59.
(9) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 735.

3) ﴿ضَلَٰلٍ﴾: أصلُ (ضلّ) يدلُّ على ضَياعِ الشَّيْءِ وذَهابِه في غَيْرِ حَقِّه[1]، والضَّلال: الغَيبوبَةُ والخَفاءُ والسَّتْرُ، يُقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبن، إذا غاب، وضلَّ الكافِرُ: غابَ عَنِ الحُجَّة، وضلَّ النّاسي، إذا غابَ عَنهُ حِفْظُه[2]، والضَّلالُ أيضًا: الانحرافُ والميلُ عنِ الطَّريقِ، يُقالُ: ضلَّ فلانٌ، يَضِلُّ، ضلالًا: إذا انحرفَ وضاعَ ولم يهتدِ إلى الطَّريق، وضَلِلْتُ الشَّيْء أَضِلُّهُ: إذا جعلتَه في مَكان ولم تَدْرِ أَين هوَ، وأَضْلَلْتُه: أَضَعْتُه[3]، وضِدُّه: الاهتداءُ، والاستقامةُ، والرَّشادُ، والمقصود بالضَّلالِ في الآيةِ: الضَّياعُ والخُسران.

4) ﴿مُّبِينٍ﴾: (بين) أصل يدل على بُعْد الشَّيءِ وانْكِشافهُ، فالبَيْنُ الفِراقُ؛ يُقالُ: بانَ يَبينُ بَيْنًا وبَيْنونَةً، والبَيونُ: البِئْرُ البَعيدَةُ القَعْرِ[4]، والبَيِّنةُ: الأمرُ الواضح، ومنه قوله: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: 57]، أي: أنا على أَمرٍ واضحٍ ظاهرٍ[5]، والمُبينُ: اسْمُ فاعِلٍ مِنْ أَبانَ الَّذي هوَ بمَعْنَى بانَ، أَيْ ظَهَرَ[6]، والمراد به في الآية: المُبالَغَةُ في الظُّهورِ والوضوح.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول اللّه تعالى: ما أسمَعَ الكافرينَ، وما أبصَرَهم للحَقِّ الذي كانوا يُنكِرونَه، يومَ قُدومِهم علينا يومَ القيامةِ، لكِنِ الكافِرونَ الذين ظَلَموا أنفُسَهم بالكَذِبِ والافتراءِ على اللّه هم اليومَ في الدُّنيا في ضَلالٍ واضحٍ عنِ الحَقِّ، لا يَسمَعونَه ولا يُبصِرونَه ولا يَعقِلونَه[7].

**العذابُ الشَّديد والهلاك لأولئك الكفّار المختلفين في شـأن عيسى عليه السلام**

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلَّ).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضلَّ).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضلَّ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضلَّ).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 86.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 544، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 394، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 421.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### فصل قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ عمّا قبله:

انقلب اعتبارهم في الدنيا إلى الاعتبار بهم في الآخرة

هذه الآية استئنافٌ بيانيٌّ؛ وقد فتحَ البابَ لمجيئها قولُه في الآية السّابقة: ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ فهو مشهد عظيم، يقول البقاعيُّ مفصِّلًا: "ولمَّا كان ذلك المشهد عظيمَ الجمع، شديدَ الزّحام، مستويَ الأرض، بعيدَ الأرجاء: كان حالُه مقتضيًا لئلّا يطّلعوا على غير ما يليهم مِن أهواله، فقال في جواب من يقول: (وما عسى أن يسمعوا أو يبصروا فيه)، مُعلِمًا بأنّ حالهم في شِدّة السّمع والبصر جديرةٌ بأن يُعْجَب منها: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾"[1].

### الغرض مِن التّعبير بأسلوب التّعَجُّب ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾:

أسماع الكافرين وأبصارهم يَوْمَئِذٍ جَديرٌ بأنْ يُتَعَجَّبَ مِنهُما

التَّعَجُّبُ هو اسْتِعْظام الشَّيْءِ مَعَ الجَهْلِ بسَبَبِ عِظَمِه، ثُمَّ يَجوزُ اسْتِعْمالُ لَفْظِ التَّعَجُّبِ عِنْدَ مُجَرَّدِ الاسْتِعْظامِ مِن غَيْرِ خَفاءِ السَّبَبِ، أوْ مِن غَيْرِ أن يَكونَ للِعِظَمِ سَبَبُ حُصولٍ، وفي استعماله هنا وجوه؛ منها: وهو المَشْهورُ الأقْوى أنَّ مَعْناهُ ما أسْمَعَهم وما أبْصَرَهم، والتَّعَجُّبُ عَلى اللهِ تَعالى مُحالٌ كَما تَقَدَّمَ، وإنَّما المُرادُ أنَّ أسْماعَهم وأبْصارَهم يَوْمَئِذٍ جَديرٌ بأنْ يُتَعَجَّبَ مِنهُما، بَعْدَما كانوا صُمًّا وعُميًا في الدُّنْيا.

وقيلَ: مَعْناهُ التَّهْديدُ مِمّا سَيَسْمَعونَ وسَيُبْصِرونَ، مِمّا يَسوءُ بَصَرَهم ويُصَدِّعُ قُلوبَهم[2].

### نُكْتة حَذْف مفعولَيِ السَّمع والبَصَر:

لقصد التّعميم، وكنايةٌ عن التهديد

حَذْفُ مفعولي السَّمعِ والبَصَرِ في قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾؛ لقَصْدِ التَّعْميمِ ليَشْمَلَ كُلَّ ما يتأتَّى له أنْ يُسْمَعَ وأنْ يُبْصَرَ، وهَذا كِنايَةٌ عَنِ التَّهْديدِ[3].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 199.

(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 214.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 107.

### توجيه المتشابه اللّفظيّ:

ليس كمثله شيء

قال تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ [الكهف: 26]، وقال سبحانه: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾، ففي سورة مريم في سياق الحديث عن أحوال أهل الكفر وهم في مشهد يوم عظيم؛ الجمعُ فيه عظيم، والزّحام فيه عظيم، والأحداثُ فيه عظيمة، لا ريبَ أنّ سمعَهم هو الأسبق مِن بصرهم في التّأثُّر بما يحدث في هذا المشهد، فلهذا قُدِّم: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ﴾ على: ﴿وَأَبۡصِرۡ﴾؛ تصويرًا دقيقًا لمتابعتهم حركةَ المشهد العظيم، وفي هذا التعبير القرآنيِّ تعريضٌ بهم وهم في الدّنيا؛ فإنّهم لم يهتدوا؛ مع أنّ ذلك قد كان بإمكانهم بقوّة؛ فكانوا يملكون وسائل العِلْم بالحَقِّ والباطل؛ فقد أتى النّظم بما لا خلاف فيه، أو ما فيه خلافٌ لا يُعتدّ به، وهو السّمع، ثمّ أتى بما فيه تفاوت، وهو البصر، ولمّا كان موضعُ الكهف متعلّقًا بالله ﷻ؛ إذ قوله: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [الكهف: 26] تفصيلًا لقوله تعالى السّابق عليه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: 26]، قُدِّم: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ [الكهف: 26] على: ﴿وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [الكهف: 26]؛ لأنّ حاله تعالى في العلم بالأشياء ليس كمثل حال المخلوقين الذين يسبق سمعُهم في العِلْم بالأشياء بصرَهم، فدلَّ على المخالفة والألوهية بالتّرتيب المَذكور.

### سِرُّ التَّقييد بالظَّرف ﴿يَوۡمَ﴾:

سِرُّ التَّقييد بالظَّرف ﴿يَوۡمَ﴾، هو تَرَقُّب سوءِ المُخْبَر عنهم يَوْمَ القيامَة، الَّذي يَقْتَضي الظَّنَّ بأنَّهُم الآنَ في سَعَةٍ مِنَ الحالِ.

### موقع قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ممّا قبلَه ودلالتُه:

بيانُ التَّفاوت بين حِدَّة سَمعهم وبَصَرهم

الاسْتِدْراكُ الَّذي أفادَهُ قَوْلُهُ: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ راجِعٌ إلى ما يُفيدُهُ التَّقْييدُ بالظَّرْفِ في قَوْلِهِ: ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ مِنْ ترقّب سوء حالهم يوم القيامة الذي يقتضي الظنّ بأنهم الآن في سعة من الحال، فأفاد أنّهم متلبّسون بالضلال المبين وهو من

سوء الحال لهم لما يتبعه من اضطراب الرأي والتباس الحال على صاحبه[1]، كما دَلَّ الاستدراكُ في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ على بيان التَّفاوت بين حِدَّة سمعهم وبصرهم التي توجبُ العجبَ، وحالهم في هذا اليوم في الدُّنيا التي كانوا فيها عَمين عنِ الحَقّ، ووقوعهم في الضَّلال المُبين البَيِّن الواضح[2].

**الغرض مِنَ التَّعبير بالإظهار ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والسّياق للإضمار:**

لا ظُلْمَ أشَدُّ مِن ظُلْمِهِم حَيْثُ أغْفَلوا الِاسْتِماعَ والنَّظَرَ

أبان صاحبُ الكَشّاف عنِ الغرض مِنَ العدول عنِ الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ﴾ بقوله: "أوْقَعَ الظّاهِرَ - أعْني الظّالِمينَ - مَوْقِعَ الضَّميرِ؛ إشْعارًا بأنْ لا ظُلْمَ أشَدُّ مِن ظُلْمِهِم، حَيْثُ أغْفَلوا الِاسْتِماعَ والنَّظَرَ حينَ يُجْدي عليهم ويُسْعِدُهم"[3]، والمُرادُ بالضَّلالِ المُبينِ: إغْفالُ النَّظَرِ والِاسْتِماعِ، ووَضَعَ الظّالِمينَ مَوْضِعَ الضَّميرِ للِإيذانِ بأنَّهم في ذَلِكَ ظالِمونَ لأنْفُسِهِم[4].

**معنى حرف الجَرّ ﴿فِى﴾ ودلالتُه:**

التّلبّس بالضَّلالِ والانغماس فيه

أفاد التَّقييد بالظَّرف في قَوْله: ﴿ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أنَّهم مُتَلَبِّسونَ بالضَّلالِ المُبينِ، ومُنْغمسون فيه، وغارقون، وهذا مِن سوءِ الحالِ لَهم لما يَتْبَعُه مِن اضْطِراب الرَّأْي، والتِباسِ الحالِ على صاحِبِه.

**سِرُّ تقييد الضَّلال بالوصف ﴿مُّبِينٍ﴾:**

العدول عنِ الحَقّ البيِّن كمالُ ضلال

قيّد القرآنُ الضّلالَ بقوله: ﴿مُّبِينٍ﴾؛ نظرًا إلى أنّهم ضَلّوا عنِ الحَقّ الذي بلغ الغايةَ في الوضوح والاستقامة؛ ممّا لا ينبغي العدولُ عنه بحال، إلّا إذا كانوا في ضلال لا تُدْرَك غايتُه، فهم في ضلال كامل تامٍّ؛ بحيث ينادي على نفسه بأنّه كذلك؛ فهذا الوصفُ ناظرٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 108.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4642.
(3) الكَشّاف، الزَّمخشريّ: 3/ 111.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 583، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 93.

إلى التّشبيه في قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ﴾، وبهذا الوصف في نور دلالته تلك يتِمُّ التّقابل الخفيُّ بين حالهم في الدّنيا في قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾، وحالهم في الآخرة: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»